الفصل الرابع عشر

من علامات القيامة عند الموحدين

من المأثور عند الموحدين قولهم: "إنه عند استيفاء الأعمال يظهر السيد العظيم للجزاء ويجيء زمان الفعل بالثواب والعقاب" فمن العلامات الدالة على إتيان الساعة السؤال المذكور في المعلوم الشريف بقوله: وقد سُئل الإمام إليه التسليم ومنه السلام عن الساعة متى تقوم؟ فقال: إذا لم يبقَ في العالم شَرٌّ مُكمنٌ إلا ويظهر، وإنما تقوم الساعة على أشر الأمم بخير الأمم ومنها:

الغفلة: لقوله وارتقبوا الظهور فإنه يأتي في أغفل الأمور ومنها:

تقضي الأعوام والدهور وبقيت الأيام والشهور، ولم يبق لا أعوام، ولا دهور والأعوام جمع عام والمراد به هنا ألف سنة حسب مذهب التوحيد الشريف ومنها:

تقرب نون الكون بعد بُعدها من الكاف: يشير إلى قرب الآخرة من الدنيا لأن الكشف أول الآخرة، فالنون الآخرة والكاف الدنيا وأن آخر الدنيا يتصل بأول الآخرة.

وقد قيل شعراً:

إن الزمان قد تقضى وذَهَبَ وموعُد يوم الجزاء قد تعَّرض واقترب

ومنها: فتح القسطنطينية: وبعد فتحها يحل بالعباد الذُّلُّ الشامل، والسيف الصارم القاتل ومنها: التغييرات الواقعة في الأفلاك: وتقارب الأبعاد وتضايق الخطوط وتغير مدبرات الأفلاك، وطوالعها حيث إنها تغيرت عن مواضعها في الحركات وعلماء الأفلاك معترفون بذلك ومنها:

تهتك أستار إبليس: وتضائل أفعاله إلى الانسفال وافتضاح أمر مَنْ أتخذهُ للتأليه ومنها: اجتماع جميع الملل على قتل فرقة التوحيد، وتظاهر كافة الأمم عليهم

بالسَّب والقذف، والتشريد وتضيق على الموحدين المخلصين على الأرض بما رحبت أي اتسعت ومنها:

كثرة الهرج بأرض الأقباط: يعني مصر وبلادها، والهرج الفتنة، والاختلاف، وفسّرهُ الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بالقتل كما بينه صاحب كتاب مختار الصحاح وروي عنه في كتب قصص الأنبياء ومنها:

تزلزل، وهدم قواعد مباني القسطاط: أي مصر العتيقة ويظهر بها الدعي المأبون (الدعي أي يدعو لنفسه والمأبون أي المتهم وهي إشارة إلى الدجال).

ومن أعظم أشراط الساعة عند الموحدين

الدَّجال

ومن أعظم دلالات القيامة ظهور الأعور دَّجال القيامة، وسمي أيضاً عند الموحدين بدجال العرب لأن أكثر محنته تكون على بلاد الشام ومَنْ يليها ممن تكلم بلغة العرب ويكون دجال القيامة أعور، ويثور في يوم الكريهة من حلب، وعندما يصل إلى بلاد

حلب تميل إليه أهلها ويقيمون معه ويكونوا من أكثر أعوانه، ووصفه مولانا بهاء الدين رضي الله عنه على بالدعي المأبون المحملق المسعور (المحملق: أي المعيوبة حماليُقةٌ والحملاق باطن أجفان العين الذي يسوَّدُ الكحل، وقيل: المحملق المقلوبة أجفان عينه) وحملق الرجل فتح عينيه، ونظر نظراً شديداً وذلك أن عينيه، معيوبتان أحدهما طافئة ذاهبة النور عمياء لا يبصر بها شيئاً، والثانية طافئة أي ناتئة حجرة كأنها عنبة لكن يُبصر بها، ومعنى المسعور المجنون، والسَّعر: الجنون وهو مَنْ تسعرّت النار إذا ألتهبت (يقال: ناقةٌ مسعورة فكأنها مجنونة من النشاط، والمفتون من الفتنة وهو الضلال ويقوم الدَّجال بالتعالي في البغُاء والشيطنة، والبَلَس، والانحراف ويكون ظهوره في آخر دور الدنيا، وآخر فراعنة الفترة المتفرعنين لأن ظهر قبله كثيرٌ من الفراعنة، ويكون هو آخرهم ظهوراً، والفراعنة جمع فرعون وهو العاتي وكلُّ عاتٍ فرعون وهو ذو فرعنة أي دهاء ومكر.

معنى الدجال: ومعنى الدجال في كتب اللغة الكذّاب، ويُقال: سيفٌ مَدْجَلٌ إذا طلي بالذهب وكل شيء غطيته فقد دجلته، ولُقبَ الدَّجال مسيحاً لأنه يمسح

الأرض كلها إما بنفسه وإما بدعاته، وتسرع دعاته في الآفاق وتسارع إليه أهل النفاق وقيل شعراً:

إن المسيح يقتل المسيح

أي أن السيد مسيح الحق يقوم بقتل المسيح الدجال (الكذاب) .

صفات الدَّجَّال: أنه رجل طويلٌ، عريضٌ الصدر، أكحل، ضخم الجسم، وقيل قصير القامة، وليس له لحية، بل شاربان، على رأسه تاجٌ من ذهب، ولباسه أصفر، أعور العين، اليمنى مطموسة كأن عينه طافية مكتوب ما بين عينيه كافرٌ يقرأه كل إنسان، سواءً أكان يقرأ أو لا يقرأ، ويشبه رأسه رأس ميل وهي حية كبيرة الرأس قصيرة الجسم وجهها كوجه الإنسان تثب على الفارس فتقتله، وأمه من أولاد الحواريين واسمها نرجس، ومن إمارات خروجه أن يهب الريح مثل ريح قومٍ عادَ ويسمعون صيحة عظيمة وذلك يكون عند ترك الناس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعند كثرة الزنا، وسفك الدماء، وهتك النساء، وشرب الخمور، ولبس

الحرير، وترك الصلاة واتباع الشهوات والتردد إلى أبواب الملوك [وقد سئل مولانا بهاء الدين رضي الله عنه عن الدجال فقال:[**إن المولى عز وجل وتنزه عما يصفون ليس بأعور وإن الدجال: أعور عينه اليمنى كأنها عنبة طافية**] والذي يظهر من الروايات والأحاديث أن الدّجال يمتحن الله به عباده بما أوجده معه من الخوارق المشاهدة في زمانه فمن استجاب له يأمر السماء تمطر لهم، والأرض فتنبِت لهم زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم وترجع إليهم سماناً ومن لا يستجيب له يرد عليه أمره، تصيبهم السَنَة، والجدب، والقحط والعلة، وموت الأنعام ونقص الأموال والأنفس والثمرات، وتتبعه كنوز الأرض كيعاسيب النمل فيضل به كثيراً ويهدي به كثيراً يكفر المرتابون ويزداد الذين آمنوا .

من أين يخرج الدجال:

من أرض المشرق من قرية يقال لها سر آباد بين مدينة هوازن وأصفهان، وقيل يخرج من المشرق من أرض خراسان يتبعه الأتراك، واليهود، والنساء، وأولاد الزنا ومن أتباعه، الأعراب والمومسات، ومعه أرباب الملاهي تقترب بين يديه الطبول والمعازف

والميدان والنايات والصنوج ومعه كثير من الأطعمة واللحوم والفاكهة والخمور، فمن آمن به أطعمه، وسقاه، وأحسن إليه، فلا يسمعه أحد إلا تبعه، إلا مَنْ عصمه الله، وروي عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أنه قال: ما من نبي إلا أنذر قومه من الدجال" ويخرج على حمار أبتر أي مقطوع الذنب وتظهر على يديه العجائب ويدعي أنه رب الخلائق فيأمر السماء فتمطر ويأمر الأرض فتنبت ويتناول السحاب بيده ويخوض البحر إلى كعبيه ويقتل رجلاً ثم يحييه، فيفتن الناس ويؤمنون به ويبايعونه ويدعي النبوة والألوهية.

انفراج الموحدين: وبظهور الدجال، وزمرته الفاسقة الحاقدة، يُفرج هم الموحدين لأنهم حينها يكونوا في أشد الضيق وتتسرع للخروج أسباب الحق الكنوز المخفية في الواحات أي الصين الجواني، ويفصل بين الصينين سَدُّ ذي القرنين الذي دخل منه المخزونون، ومنه يخرجون لخدمة أهل الحق، وقيل أن الذي بناه الإسكندر بناه من الصخور مرتبطاً بعضها ببعض بكلاليب من حديد، ونحاس مذاب في تجاويفها وبعد انتهاء الأجل المضروب الذي هو أيام المهل، وانجاز الوعد الذي لا يبور فتنبلج

البحور وتتزعزع الأرض للظهور، ويفتح سدٌ بناه الإسكندر، ويخرج بعساكر متتالية ورايات مقبلة، وكتائب متواصلة، وجماهير غفيرة، وجنود غزيرة ويصل إلى هَجَر وقد أشرق الكون بهم وأضاء وتباشر بهم كافة الموحدين.

وقد قال أحد الشعراء الموحدين مستبشراً بقدومهم:

أيا مرحباً حلَّ السرور مع الهنا بإقدامهم وانحل عن ظهرنا العَنَا

أيا مرحبا جاءت بشائر أهلنا بشائر تنبئ بالوصول إلى هَجرَ

وكادت أن تطير قلوب الموحدين من السرور، والغبطة، وتطاير البشائر في بلدانهم واتسع صدر كل واحد منهم وانشرح.

وهجر هي مدينة مشهورة في أقصى اليمن، وهي قاعدة بلاد البحرين، ومنها يكون ظهورْ قائم الحق ويكون لأهل التوحيد عند ظهور نعمة شاملة، وعلى المخالطين نقمة كاملة.

المهدي المنتظر عند الموحدين:

يقول الشيخ أبو عز الدين الناسخ رحمه الله:

ولا ملكاً إلا ولاقاه مسرعـاً

محثاً إليه وهو في غاية الذُّعر

حيث تجتمع الملوك به قبل أن يصل إلى مكة فيحقق العَالَم إنه المهدي الحقيقي والقائم المنتظر الذي يظهر في آخر الزمان يملئ الأرض عدلاً، وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، وإنه هو الذي إليه الإشارات والدلالات وإنه صاحب المعجزات الكاملة الحقيقية.

وقيل شعراً:

رَوَيَدكَ مهدي الكون قد قام آمراً

وعما قليل سوف يأتيك زائراً

ويملك أقصى الأرض شرقاً ومغرباً

ويمسو على متن المجرة ظاهراً

وتأتي ملوك الأرض طوعاً لأمره

تدين له بالذل رغماً أصاغراً

ويملئ أقطار البسيطة عدلهُ

كما مُلِئت بالجور بَدْياً وآخراً

دابة الأرض: والمشهور إذا حضرت دابة الأرض بمكة تكلمهم فتصرخ ثلاث صرخات فيسمعها من بين الخافقين أي المشرق والمغرب والدابة هي إمام الزمان وهي المشار إليها بآية في القرآن وكلامها أن تقول لواحد: هذا مؤمن وتقول لآخر هذا كافر.

وللقيامة أسماء كثيرة منها: يوم الفزع، ويوم الجزع، ويوم المسائلة، ويوم المسابقة، ويوم المنافسة، ويوم الزلزلة ويوم الدمدمة، ويوم الداهية، ويوم الأَزِفَة، ويوم الصاعقة، ويوم الواقعة، ويوم السماقة ويوم الحاقّةَ، ويوم الحساب، ويوم البكاء، ويوم الجزاء، ويوم المآب، ويوم الشقاء، ويوم الحشر: . . . .الخ

الثواب

فأما الثواب فمعناه في اللغة الجزاء على الطاعة، وترى الأولياء الصالحين ما يَسَّر القلوب وتقرّ به العيون، وإن في القيامة للمؤمنين الطائفين بحاراً طافية من النعيم السَّرمد، والثواب المخلد، والجزاء المؤبد مالا أذن سمعت، ولا عين رأت ولا خطر على قلب بشر، ويرتع الموحدون المخلصون المقرون، بألوهية الباري سبحانه وتعالى، وأنه أحكم الحاكمين بالنعيم، والعز المقيم، ويأمنوا ويرتفع الخوف عنهم من العقاب ارتفاعاً كلياً كما ذكر الله عز وجل في محكم تنزيله: "فلا تعلم نفسٌ ما أخفي لها من قرة عين جزاء بما كانوا يعلمون"[58]وهذا الوعد والأعداد من النعيمين: نعيم النفوس، ونعيم الأبدان. فنعيم النفوس: مشاهدة الرب سبحانه وتعالى الحاكم على كل حاكم وطاغي ومتجبر والمشاهدة تكون على الدوام وهو غاية النعيم.

([58]) (سورة السجدة الآية17)

أما نعيم الأجسام فغنى دائم بلا فقر وراحة كلية بلا عناء، وجمال خالص، بلا قبح وصحة دائمة بلا سقم ويكون الموحدين:

قلوبٌ بلا غِلٍ نفوسٌ بلا هَوَى

عقولٌ بلا كيد صدور بلا حقدٍ

وأعلم أخي الغالي مهما يصف في الدنيا من نعيم الآخرة، وعزها وسلطانها وسعادتها فلا مطمع في استيعابه ولا عُشر عشير معشار لأنه يفوق الحصر كما قال بعض الفضلاء من الموحدين الأتقياء الأنقياء: لو خلق الله عز وجل ألف كون مثل هذا الكون وملئ تلك الأكوان من الدرّ والجوهر الثمين لكانت أقل من معشار ما يستحقه فريق الهدى فلما استقر فريق الهدى على الطاعة التي مالا نهاية استحق الثواب الذي ما له نهاية.

العِقاب

فهو بكسر العين، من العقوبة، وبمعنى العذاب وهو الويل المذكور في قوله:

"الويل كل الويل لمن حاد عن طاعتي وصَدَف" يعني العذاب كل العذاب.

والعذاب عند الموحدين عذابين: عذاب النفوس، وعذاب الأجسام، عذاب النفوس: الحيرة، والحسرة والندامة، وعذاب الأجسام: السُّقم، والنكال ولبس الغيار، (أي يغيروها كل فترة) فمن عذاب النفوس في الآخرة الإياس من رحمة الله سبحانه وتعالى وحدوده الغر الميامين، ودوام الحسرة التي لا تفارقهم أبداً، وعدم مشاهدة الجلال بلذة وغبطة.

إن الغفلة عن البعث ونسيان يوم الحساب هو أصلٌ لكل ضلال: "إنَّ الذينَ يضلُونَ عَنْ سبيلِ اللهِ لهم عَذَابٌ شديدٌ بما نَسُوا يَوْمَ الحِسَابِ"[59] وهو منشأ كل عمل سيء ولولا الثواب، والعقاب لم يكن ثمة، موجب يدعو للآخذ، بالدين، وللاعتقاد به والعمل بإحكامه، وتعاليمه "فمن كان يرجو لقاءَ رَبّهِ فليعمل عَمَلاً صَالِحاً ولا يشُرك بعبادةِ ربهِ أحداً"[60]

([59]) (سورة ص الآية 26)

([60]) (الكهف11.).

لقد رافقت المرحوم الشيخ الجليل أحمد سلمان الهجري رحمه الله عز وجل وأسكنه فسيح جناته لعدة سنوات وكان مؤمناً صادقاً وموحداً مخلصاً لله عز وجل يخشى الله ويتقيه ثابت على كلمة الحق مهما كانت العواقب صاحب رأي وفطنة، وذكاء، محبٌ لأقرانه ولداته، مخلصاً لإخوانه ناصحاً لهم وفياً في علاقاته وكان رحمه الله يردد على مسامعنا قوله: "الله يحسن خاتمتنا"، ويقول أيضاً: "الله يجمعنا في دار الأمان" ويقول أيضاً رحمة الله على روحه الطاهرة: "لا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم"

وعندما كنت أسأل شيخنا الجليل أحمد سلمان الهجري عن يوم القيامة يجيب، وعيناه الشريفتان تلمعان و تدمعان من شدة الإيمان والخشية من عذاب الرحمن: سيحدث عند قيام الساعة كما ورد في مجروية سيدنا الشيخ أبو حسين ابراهيم الهجري رضي الله عنه انقلابٌ كوني مدهش نعجز عن تصوره يشمل جميع ما نشاهده من شمس وغيوم وكواكب والأرض بجميع ما فيها" .

– **الزلازل:** إن الزلازل نوعان: زلازل حسية: تزّج الأرض فتدمر القرى، والمدن والمساكن، وزلازل معنوية: تزلزل الإيمان، والعقيدة، والأخلاق، والسلوك حتى يضطرب الناس في عقائدهم وأخلاقهم وسلوكهم فيعود الحليم العاقل حيران

– **تقارب الزمان:** أي يتقارب أهل الزمان وذلك بما يحصل من وسائل النقل السريعة التي نشاهدها كالسيارات، والطائرات أو أن معنى ذلك: إن الزمان يكون قصيراً لكثرة الغفلة وفشل الأعمال والأوقات حتى يمضي الزمن الكثير وما صنع الإنسان إلا شيئاً قليلاً وحتى إن الجمعة تأتي ويقول الإنسان هل هذا يوم السبت لسرعة الزمان مع الغفلة.

– **الفتن:** لا تقوم الساعة حتى تظهر الفتن، وإن الفتن أنواع متنوعة: إما خير وإما شر حتى الخير ربما يكون فتنة كما قال الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله:

ونبلوكم بالشَّر، والخَيّر فتنةً وإلينا تُرْجَعُونَ "[61] إن الفتن تكون في الخير وتكون في الشر قد يكون الإنسان فقيراً عابداً لله قائماً بالواجبات فإذا أغناه الله أنصرف عن

([61]) (الأنبياء35)

ذلك كله إلى دنياه فخسر الدنيا والآخرة. إن الفتن في الواقع يمكن أن نقول عنها بعبارة عامة: إنها كل ما يصد عن الإيمان بالله، والقيام بأمره، واتباع هدى توحيده، والابتعاد، والتبرؤ من العقائد الفاسدة، والأفكار الهدامة، والسلوك المنحرف.

وإن ظهور الفتن بالقتل، والسلب، والنهب، واتباع الشهوات دليل على ضعف العلم الصحيح، والمسلك الشريف والإيمان والتوحيد الخالص.

- الهرج:

وقال إن الساعة لا تقوم حتى يكثر الهرج وهو: القتل حتى يكثر القتل بين الناس سواء أكان ذلك بالحروب أو الاغتيالات، والانفجارات، وقد جرى ذلك فما أكثر الاقتتال بين بني آدم اليوم: قتال بين الكفار والكفار قتال بين المسلمين، والمسلمين قتال بين المسلمين والكفار قتالٌ بين الأحزاب والمذاهب.

فأما القتال بين المسلمين بعضهم مع بعض فإنه فتنة عظيمة يلتقي المسلمان بعتادهم الحربي فيقتل أحدهما الآخر وقال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: "إذا ألتقى

المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار" قالوا يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟

قال: "إنه كان حريصاً على قتل صاحبه"

إن الفتنة بين المسلمين في القتل إنها تؤلم، وتجرح الفؤاد إنها تدمي الكبد إنها فتنة عظيمة يخشى أن يصاب الناس كلهم بهذه الفتنة.

ولا تقوم الساعة حتى يمرَّ الرجل بقبر الرجل و يقول: يا ليتني مكانه"

يقول ذلك لما يرى من الأمور العظام التي يفضل الموت عليها، من عظيم البلاء ورئاسة الجهلاء، وخمول العلماء، واستيلاء الباطل في الأحكام، وعموم الظلم واستحلال الحرام.

- هدم الكعبة ونهاية العرب:

من علامات الساعة وأشراطها أن يخرج ذو السويقتين من الحبشة ليخرب الكعبة ويهدمها، وذو السويقتين هو رجل حبشي له ساقان صغيرتان رقيقتان جداً من

هنا سمي ذو السويقتين لأن السويقة تصغير ساق الإنسان، ومما يروى عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قوله: يُخرِّب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة وفي رواية: ذو السويقتين من الحبشة يخرِّب بيت الله عز وجل[62] .

وقد تنبأ الرسول الكريم بهلكة العرب، ونهايتهم وذلك في ظروف مصاحبة لهدم الكعبة وتخريبها فقال: يبايع رجل بين الركن والمقام ولن يستحل هذا البيت إلا أهله فإذا استحلوه فلا تسأل عن هلكة العرب، ثم تجيئ الحبشة فتخربه خراباً لا يعّمر بعده أبداً وهم الذين يستخرجون كنزه[63] .

ويؤكد الرسول الكريم ذلك بقوله:

لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت[64] .

([62]) رواه مسلم عن أبي هريرة32.
([63]) رواه الحاكم في المستدرك في كتاب الفتن والملاحم ج4 صـ453ـ
([64]) راجع كتاب المسيخ الدجال حقيقة لا خيال لمؤلفه عبد اللطيف عاشور صـ73ـ مكتبة القرآن القاهرة 1988.